واقع تطبيق بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات في المدرسة الجزائرية
التربية الفنية التشكيلية نموذجا

أ / محمد مخالدي
جامعة وهران 1 احمد بن بلة makhaldi4@gmail.com

ملخص :

في ظل ما تشهده المدرسة الجزائرية من إصلاح وإصلاح للإصلاح في اتجاه الوصول إلى تجسيد أفضل لبيداغوجيا المقاربة بالكفاءات ، يتناول هذا البحث مبررات تطبيق المناهج الجديدة بتبيين نقائص وعيوب المناهج القديمة ثم يتطرق لتقييم واقع تنفيذ تلك المناهج مع محاولة توضيح أهم الجوانب المستجدة فيها ، ثم الصعوبات التي اصطدمت بها المدرسة الجزائرية وهي تسعى لإنجاح تلك التوجهات ، مع ذكر ما اتضح من نقائص فيها ، لنخلص في الأخير إلى إعطاء الحلول والمقترحات التي نراها كفيلة بتعديل الوضع وتحقيق ما أمكن تحقيقه من ايجابيات ، كل ذلك من خلال مناهج التربية الفنية التشكيلية لمرحلة التعليم المتوسط كنموذج ، انطلاقا من تجربتنا الشخصية كأستاذ مكون في ذات المادة .

الكلمات المفتاحية: المناهج; المقاربة; الكفاءات; التربية الفنية.

Abstract

In light of the reform of the Algerian school in the direction of achieving a better embodiment of pedagogy, competency approach, this research deals with the justification of applying the new curricula by clarifying the short comings of the old curricula and then assessing the reality of implementing these curricula. The Algerian school has come up against it and is striving for the success of these trends, while mentioning the weaknesses that have emerged. Finally, we would like to give the solutions and proposals that we see as capable of modifying the situation and achieving the best possible positive results.

Keywords: Curriculum, Approach, Competencies, Art education

مقدمة:

في ظل ما تشهده المدرسة الجزائرية من إصلاح وإصلاح للإصلاح في اتجاه الوصول إلى تجسيد أفضل لبيداغوجيا المقاربة بالكفاءات ، تتباين المواقف والآراء عند تقييم الوضع ، نقف من خلال هذه الورقة البحثية عند واقع تجسيد هذه التوجهات في المدرسة الجزائرية ، وانطلاقا من خبرتنا الميدانية في تدريس التربية الفنية التشكيلية ، جاء بحثنا لتقييم الوضع وتوضيح مدى النجاح في تطبيق هذا التوجه التعليمي العام على مادة لها الكثير من الخصوصية ، كونها مادة فنية تختلف في مضمونها وفي طبيعة معارفها ، واختلاف درجات التجاوب لدى المتعلمين معها .

لا احد ينكر ما للفن من أهمية في حياة الإنسان ، حيث اثبت التاريخ كما يثبت الواقع أن كل ما يقوم به الإنسان من نشاطات مختلفة إنما هي ممارسات فنية ، وان كل ما يحيط بنا يندرج في خانة الفن ، عندما أراد المفكر الانجليزي

ارنست فيشر ان يتكلم عن أهمية الفن وضرورته لم يجد أقوى وأبين مما ذكره الفنان الهولندي الكبير بيات موندريون [1] عندما قال " إن الفن يمكن أن يختفي، وان الواقع سوف يحل تدريجيا محل الفن إذ لم يكن الفن في جوهره إلا تعويضا عن انعدام التوازن في الواقع الراهن " وانتهى إلى القول " إن الفن سيختفي عندما تصل الحياة إلى درجة أعلى من التوازن "[2] . أي أن وجود الفن بيننا ضرورة تفرضها حياتنا المليئة بالنقائص و.....ودور الفن واضح وقد ربط موندريون نهاية الفن بتحقيق التوازن الكامل في الطبيعة وهو مطلب مستحيل الحدوث ، وبمعنى آخر فان موندريون أراد ان يقول بأنه لا يمكننا تصور حياة طبيعية وعادية بدون فن . ومع التطور الحضاري والتكنولوجي اختلفت أساليب العيش وتنوعت وتعددت المتطلبات وتنوعت إلا أن الفاعل فيها يبقى هو الفنان ومجال نشاطه هو الفن ، هذا ما دفع إلى نشر الثقافة الفنية والعمل على إنشاء تعليم فني ناجع يهدف إلى بلوغ إعداد نشا متكامل التكوين ملما بكل ما له دور في هذه الحياة ...

لماذا تطبيق المقاربة بالكفاءات في المدرسة الجزائرية؟:

إن اكبر ما ستعصى على الحكومات تحقيقه هو الوصول إلى أسلوب تعليمي كفيل ببلوغ كل الغايات التي يطمح إليها المجتمع ، ولم يكن المجتمع ليقف على طريقة وأسلوب واحد لان التطور المتسارع للحياة الإنسانية يفرض تجديد المناهج والعمل على تطويرها باستمرار حتى تتماشى مع ذاك النماء الإنساني العام ، وقد أدت علوم التربية التي أصبحت علما مستقلا بذاته ، دورا كبيرا في طرح الكثير من الحلول المؤسسة على مبررات مقنعة .

اعتمدت المدرسة الجزائرية خلال السنوات الأخيرة منهج المقاربة بالكفاءات كأسلوب تعليمي بديلا لما كان يسمى بيداغوجيا الأهداف وذلك املاً في تحسين مستوى التعليم و رفع درجة الاستيعاب لدى المتعلمين و جعل العملية التعليمية أكثر فاعلية ونجاعة من ذي قبل ، جاء في المناهج التعليمية لمختلف الأطوار، ما يبرر اعتماد بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات كونها " ...اختيار منهجي يمكن المتعلم من النجاح في هذه الحياة على صورتها وذلك بالسعي إلى تثمين المعارف المدرسية وجعلها صالحة للاستعمال في مختلف مواقف الحياة ." [3] أي أن العملية التعليمية تصبح مرتبطة أكثر بالجانب العملي الوظيفي وهو المجال الذي يستشعر من خلاله تحقق الكفاءات ، كما ان ما يميز هذا المنهج الجديد في التعليم كونه يعمل على تجزئة العملية التعليمية بما يسهل استيعابها من خلال الكفاءات الجزئية ثم تركيبها من خلال الوضعيات الإدماجية ، كما ربط هذا المنهج الجوانب التعليمية الثلاث والمتمثلة في المعرفة المفاهمية – والمعرفة التنفيذية او الاستكشافية ، ثم المعرفة الوجدانية لأجل الوصول إلى فهم وتنفيذ ثم تذوق ونقد وهي الغاية المثالية التي تطمح إليها المناهج " إن استخدام مصطلح كفاءة في مجال التربية والتعليم يميل إلى التعامل مع قدرة الفرد على فعل شيء ما أكثر من استظهار المعارف "[4]، أي أن المعرفة هنا متكاملة تمس جوانبها الثلاث وهو ما يتيح قياسها ويسمح بالتأكد من تحققها لدى المتعلمين .

وقد ذكر بوبكر من جامعة الشلف الدوافع القوية لاعتماد المقاربة بالكفاءات نذكر منها :
"المناهج التعليمية السابقة مثقلة بمعارف غير ضرورية ولا تسمح لحاملها أن يتدبر أمره في الحياة العملية .
النظر إلى الحياة بمنظور عملي "[5].
إن هذا التوجه لاقى استحسان كل المختصين لما رأوا فيه من الفاعلية و النجاعة ، وكذلك لما لاقاه هذا المنهج من قبول لدى الدول المتقدمة " من الولايات المتحدة الأمريكية إلى كندا ثم إلى أوروبا تزايد الاهتمام بالتربية على الكفاءات مما أدى إلى تزايد تطبيقها "[6]

واقع تطبيق المقاربة بالكفاءات في المدرسة الجزائرية:

احتضنت المدرسة الجزائرية تلك النظريات بكثير من الإرادة والعزيمة من طرف الوصاية كما من اغلب القائمين على قطاع التربية من المفتشين والمربين واقتنع الجميع بتنفيذها ، إلا أن واقع تنفيذ تلك المناهج الإصلاحية اصطدم بالكثير من الصعوبات والنقائص التي أفرزت وجهات نظر متباينة لدي الشركاء التربويين تحدثت عنها الباحثة حرقاس وسيلة والتي من خلال دراستها الميدانية طرحت السؤال الآتي على عينة من الأولياء : هل تعتقد إن الإصلاحات الجديدة حسنت مستوى التعليم العام ؟

وجاءت الإجابات متباينة صنفتها الباحثة إلى ثلاث مجموعات .

- فئة المتفائلين ومثلت 15 %
- فئة المتشائمين 38%
- فئة المتخوفين 47% "[7]

إن نتائج مثل هذا الاستفتاء تعكس مدى التخوف الكبير لدى الأولياء الذين يمثلون كيان المجتمع ، وهم الاحرس على مصير أبنائهم والشريك الأقرب والمباشر في العملية التربوية ، ودون إن نغالي في التشاؤم والتخوف والتحفظ فانه جدير بنا تفسير دوافع ذلك ، لان هناك الكثير من النقائص والصعوبات التي تدفع إلى مثل تلك الانطباعات من بينها ما يلي :

- عدم الاستيعاب الجيد لهذه البيداغوجيا من طرف المربين نظرا لنقص التكوين او لضعف المستوى العلمي والثقافي لديهم .

- لم توضع أمام الفاعلين والشركاء مبررات واضحة لتغيير المناهج جذريا ، حيث كان من الواجب نقد المناهج القائمة أولا بكثير من الإقناع لتصبح بداغوجيا الكفاءات بديلا ضروريا يتحمس له الجميع .

- ترتكز بيداغوجيا الكفاءات على دفع المتعلمين إلى اكتشاف المعارف واستخلاصها وتركيبها ويكون المعلم فيها مرشدا وموجها ومشرفا وهذا ليس بالمهمة السهلة لأنها تتطلب دراية وثقافة عالية و خبرة مهنية كبيرة لا يمتلكها كل المربين .

المقاربة بالكفاءات في مناهج التربية الفنية التشكيلية :

إن أول ما لمسناه في مناهج التربية الفنية التشكيلية الإصلاحية هو عملية إعادة ترتيب المعارف المتعلقة بالمادة ، أي أن التغيير لم يكن جزئيا أو في طريقة توصيل المعارف بل إعادة النظر في نوعيتها من حيث تصنيفها بما يسمح بالإلمام بنواحي وجوانب العمل الفني ، وبما يجعل المتعلم قادرا على تصور عمل فني متكامل من خلال تلك المعارف المجزاة .

قراءة نقدية لمناهج التربية الفنية التشكيلية السابقة:

لا يمكننا الاختلاف على ان المنهج القديم عموما حمل الكثير من السلبيات أبرزها : " أن هذه المقاربة كانت تعتمد على منطق التعليم لا التعلم ، وان التعليم أساسا كان يستهدف امتلاك معارف واكتساب قدرات ، وان المعلم كان يركز على المعرفة ولم يرق إلى المستويات الأخرى . والبرامج كانت عبارة عن دروس متتابعة تتخللها فترات للمراجعة ..." [8]

هذا يخص النقد العام للمناهج السابقة أما مادة التربية الفنية التشكيلية فكان لها نصيبها من النقد ، حيث كان التعامل مع المادة الفنية انطلاقا من العمل الفني الكامل والمتكامل بإعادة تمثيله عن طريق الملاحظة الجيدة والدقيقة باستخدام الحواس او عن طريق التخيل ، حيث أن العملية هنا نفسها ، والفرق ان في الرسم من المخيلة تقوم فيه الذاكرة بدور كبير; و مهم في إعادة تمثيل الواقع ، ومن خلال تلك العملية يمكن للمتعلم ان يصل إلى بعض القواعد الفنية ويكتسب التقنيات المختلفة في التعامل مع الخامات المستعملة ، هذه الرؤيا هي قديمة جدا تعتبر امتدادا لنظرية المحاكاة التي ترى ان الفن هو القدرة على تمثيل الحقيقة وهو ما تبناه فلاسفة الإغريق منذ القرن الرابع قبل الميلاد وعلى رأسهم كل من أفلاطون و ارسطوا ، وبقي هذا التوجه سائدا لحقب زمنية طويلة ، وقد انتهج الأوروبيون هذا التوجه خلال عصر النهضة وما بعده ، حيث كانت المحاكاة المنهج المتبع في تعليم الفنون في المدارس والورشاة التي يعتادها محترفو الفن وقد رسمت في المناهج التعليمية التي اعتمدت في فرنسا ، " خلال هذه الفترة، أي اعتبارا من سنة 1909م، سيستهدف تدريس الرسم بالأساس تنمية وتطوير الإدراك والملاحظة والخيال لدى المتعلمين، اعتمادا على الطريقة الحدسية « la méthode intuitive » التي تبنت مفهوم "التجربة الحسية قبل التحليل النظري"، بتشغيل الملاحظة الدقيقة للعالم المرئي"[9].

وقد تبين من خلال ردات الفعل والانتقادات الكثيرة أن هذا التوجه يحمل الكثير من السلبيات و النقائص ، فقد ذكر (المليجي).....ما ذهب إليه الشاعر "ابو لينير" (ان الرسم ليس فن التقليد والنقل ، بل فن استيعاب يسمو حتى الخلق والابتكار) وهكذا تحول المصورون يريدون التعبير عن عظمة الأشكال الما ورائية " لقد حولت التكعيبية مفهوم التعبير الفني من التعامل مع الحواس فقط إلى التعامل مع الفكر متواكبا ذلك مع قول الفيلسوف مالبرانش " الحقيقة ليست في حواسنا ، بل في فكرنا ...فالعالم المرئي لا يصير العالم الواقعي إلا بفعل الفكر " [10] ، لقد اتفق جل المفكرين والفنانين على ان نظرية المحاكاة أصبحت من الماضي ولم تعد بالمنهج الذي يرتكز عليه الفن التشكيلي ، ويعتبر الرسام الاسباني بابلو بكاسوا الموقع الأهم لشهادة وفاة تلك النظرية العريقة او على الأقل التقليل من شانها حتى لا نكون مجحفين في حق أصحابها العظماء ، " لقد أصر الفنان على انه مبتكر بمفهوم التغير ومسايرة العصر والانطلاق بالناس إلى جديد غير متبوع وغير مصنوع بالتقليد ، فبيكاسو يقول – إن الشيء الأهم هو الابتكار ولا شيء آخر يهم ، الإبداع هو كل شيء "[11].

أما الفنان الفرنسي هنري ماتس فانه يرى بان الفن تكثيف للإحساسات إلى مدركات وتكثيف المدركات إلى أشكال دالة واضحة المعطيات ، ويرى فاسلي كاندنسكي أن هناك علاقة وطيدة بين مكونات التشكيل ورموزه الفنية وبين الانفعال داخل الفنان ، فالفن محصلة التفاعل بينهما ، والأشكال الفنية إن هي إلا انساق رمزية وظيفتها ان تعطي تعبيرا مرئيا عن الانفعال المحتوى الضروري في الفنان .

" إن هذه الطريقة الأكاديمية تعد مقيدة للحقائق البصرية وربما كانت تتلاءم مع تلك العصور القديمة إلا أنها لم تعد صالحة في عصرنا الحاضر .....ان عصرنا الحاضر يؤمن بالأفكار والنظريات الحديثة التي حررت الفنان من قيود المنظور والمدارس الفنية القديمة "[12].

إن كل هذه الآراء وغيرها كثير تصب في موقف واحد يدعوا إلى الابتكار في الفن والتجديد فيه والتخلي عن التقليد المباشر للواقع أو النقل الحرفي الذي يجعل من العمل الفني تكرارا للأشياء لا طائل من ورائه ، فيكون التعليم الفني بذلك تقييد للمواهب وإرهاق للمتعلمين وربما كان تقييمهم بمقارنة أعمالهم بالواقع هدما حقيقيا لطموحهم ورغبتهم في ممارسة الفن التشكيلي .

بعد تلك الانتقادات وغيرها انتهت بالتخلي عنها نهائيا خلال السبعينيات من القرن الماضي واتجه التعليم الفني في فرنسا نحو التعبير، وتطور مع بداية الثمانينيات ليتجه أكثر إلى النقد والتحليل في خضم التغيرات التكنولوجية التي تسارعت وتيرتها في مختلف المجالات خاصة الإعلام والصورة والتلفزيون ،حيث تم وضع تصورات جديدة مبنية على تحليل الأعمال الفنية ثم نقدها وإعطاء مجال مناسب للإبداع والتعبير الذاتي للمتعلمين من اجل جعلهم يسايرون ذلك التطور .

المقاربة بالكفاءات في مناهج التربية التشكيلية :

لقد أعطت المناهج الجديدة دفعا قويا لبعث هذه المادة وإعادة النظر في طريقة تدريسها إذ لاحظنا إعادة جذرية لترتيب المعارف المتعلقة بها ثم الأسلوب الجديد في تدريسها ، حيث أصبحت الدروس منقسمة إلى مجالين أو ميدانين وهما الرسم والتلوين و فن التصميم في كل منهما أربع مركبات او ثلاث، تشمل كل مركبة من مركبات الرسم والتلوين جانبا من المعارف التشكيلية التي تشكل جل المعارف المتعلقة بانجاز او قراءة عمل فني تشكيلي وهي (التركيب – التقنيات – الألوان – ثم الأساليب) ، أما مركبات التصميم فهي تشمل جانب التصميم والتجسيم من الفن التشكيلي كالدزاين وبعض الفنون التصميمية كالإشهار والخط العربي والزخرفة ،

وقد جاءت الكفاءات مصاغة بحيث ينتهي المتعلم من خلال تحقيقها إلى انجاز عمل فني يتوفر على قواعد التركيب الفني وبتقنية من التقنيات وبتوظيف قاعدة لونية معينة وأسلوب فني مناسب ، ثم ذلك المنظور العبقري للكفاءات الختامية والتي تبنى على ثلاث مستويات معرفية لم نكن نوليها اهتماما من قبل والمتمثلة في :

المعرفة المفاهمية :مستوى التعبير اللغوي مهارات عقلية الفهم والتصور .

المعرفة الفعلية :مستوى التعبير التشكيلي مهارات تطبيقية ، الإبداع والإنتاج

المعرفة الوجدانية : مستوى الاتصال والحكم ، مهارات متعلقة بالمواقف ، النقد والتذوق " [13]، حيث يحرص المعلم على ملامسة المتعلمين هذه المستويات الثلاث حتى يستطيع التأكد من بلوغ بناء الكفاءة المرجوة بصفة متكاملة الجوانب، نظريا نجد هذا الطرح مقنعا جدا خاصة اذا علمنا انه في مناهج الجيل الثاني أدخلت الوضعية الأم التي تكون كهدف تعلمي ونقطة انطلاق في نفس الوقت ، تعلن الوضعية الأم في البداية ليشرع في تناول المركبات الأربع في الرسم والتلوين مما يمكن التلاميذ في الأخير من انجاز تلك الوضعية الأم التي تصبح وضعية إدماجية تجسد الكفاءة الختامية المسطرة .

إن هذا المنهج التكاملي البنائي في تصوره يهدف إلى بلوغ المتعلمين درجة من الفهم العام للفن ثم إعطائهم القدرة على تحليل العمل الفني وتفكيكه ومنه القدرة على النقد بما لديهم من معارف فنية متنوعة ، وهنا نجد أنفسنا أمام تنفيذ لتوجهات المناهج الفرنسية خلال الثمانينيات من القرن الماضي أي الاتجاه نحو دفع المتعلمين وتمكينهم من القدرة على التفكيك والقراءة ثم النقد ، ان هذا التوجه يفي بالعديد من الميزات التي افتقدناها في الماضي منها ان المتعلم ومن خلال اكتسابه لتلك الكفاءات تتكون لديه شخصية قوية ولن يتعامل بعد ذلك مع الأعمال الفنية كمتلقي وحسب ، وإنما سوف يصبح مدركا لقيمتها الحقيقية وناقدا لها وهو يعي مستويات انجازها ، إن مثل هاته السلوكيات تولد لدى متعلمينا دافعية إلى الانجاز والإبداع بكل ثقة وبكل كفاءة ، وتجعلهم لا يتقبلون الأشياء كما هي وإنما تكون لديهم آراؤهم الشخصية بامتلاكهم للنظرة النقدية ويلخص هذا الشرح ما جاء في مناهج التربية الفنية التشكيلية الأخيرة (مناهج الجيل الثاني للتعليم المتوسط) ، "تركز المناهج الجديدة على مبدأين أساسيين : المقاربة بالكفاءات المستوحاة من البنائية الاجتماعية ، والمقاربة النسقية ، تتشكل هذه المقاربة – المؤسسة على البناء الفكري والبنائية الاجتماعية – المحور الرئيس للمناهج الجديدة تمكن المتعلم من بناء معارفه في وضعيات تفاعلية ذات دلالة وتتيح له فرصة تقديم مساهمته في مجموعة من أقرانه "[14]

و لتوضيح التوجه البنائي في بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات نورد هذا التوضيح المبسط لبنائية مناهج التربية الفنية التشكيلية :

(مركبة 1+مركبة 2+مركبة3) = كفاءة ختامية .

كفاءة ختامية 1 + كفاءة ختامية2 = كفاءة شاملة.

الكفاءة الشاملة : وهي الكفاءة المتعلقة بنهاية الطور التعليمي

الكفاءة الختامية : وهي المتعلقة بأحد ميداني الطور الواحد

المركبة : او الوحدة التعليمية تتعلق بجانب من المعارف المركبة للكفاءة الواحدة .

قراءة نقدية للتوجه الجديد في تدريس الفن التشكيلي في المدرسة الجزائرية :

مهما أسهبنا في ذكر ايجابيات بداغوجيا الكفاءات فان لها سلبياتها ، ومهما انتقدنا الطريقة القديمة وأظهرنا سلبياتها فان لها الكثير من الايجابيات التي تحتاج إلى التوضيح.

ايجابيات تدريس الفنون بالطريقة القديمة :

صحيح كل ما ذكرناه من عيوب النقل و التقليد للنماذج ، الا انه يبقى من أنجع الطرق في تلقين المتعلمين للمهارات الفنية حيث ثبت وبالتجربة صحة المقولة الشهيرة "ان أحسن طريقة لتعلم الرسم هي النقل والتقليد" ، وبالأخص البدايات الأولى في تعلم أساسيات الفن التشكيلي ، وهذه الطريقة هي المنتهجة منذ القديم وخاصة لدى مدارس الفنون الجميلة التي دأبت على تخريج الفنانين المحترفين ، حيث تكون لوحات الفنانين الأوائل نماذج يعمل المتعلمون على إعادة انجازها مع الحرص على تقليدها .

ومن خلال تجربتنا الميدانية الخاصة فان اقرب الطرق وأنجعها لتمكين المتعلم من اكتساب المهارات المختلفة ، حيث يسير المتعلم في طريق محددة لهدف واضح وملموس وحين يصل إلى عمل مشابه أو مقارب فانه قد أدرك الهدف المطلوب ،

كما ان إعادة الظاهر او تكرارها يمكننا من دراستها والتعرف عليها أكثر حسب رأي أهل الفكر الفلسفي .

يقول المثل عندنا " التكرار يعلم الحمار" وهذا القول في إشارة على تكرار المعارف أو السلوكيات و الممارسات لا شك يؤدي إلى التلقين والحفظ حتى ولو كان المتعلم شديد الغباء .

أهم الصعوبات في تنفيذ بيداغوجيا الكفاءات في التربية الفنية التشكيلية :

كما اشرنا سالفا فانه علينا أن لا نتصور ان هذا الأسلوب التعليمي منزل من السماء خال من السلبيات بل هناك العديد من التحفظات والكثير من السلبيات التي لمسناها او توصل إليها غيرنا ومنها ما لم يظهر بعد ، ستتكفل الأيام بالكشف عنه فلا يمكن بأي حال من الأحوال تصور منهج دون عيوب ، اجتهدنا قدر المستطاع في رصد بعض الملاحظات نذكرها فيما يلي :

- جاءت الكفاءات المسطرة مجزئة للعملية التعليمية محاولة الابتعاد عن تحديد التعليمات نظرا لتنوعها الشديد في المجال الفني ، وذلك ما أدى إلى درجة كبيرة من الغموض واكتست الكفاءة صفة التعقيد خاصة عند الأساتذة الجدد او محدودي المستوى ، لقد حاول القائمون عليها إعطاء مجال أوسع للأستاذ في التصرف والاجتهاد على أساس ان يكون للأستاذ قدرة كافية ولديه من المبادرة ما يتيح له حسن التصرف وهذا ما لم يتوفر في العديد من الأساتذة .

- ترتكز بيداغوجيا الكفاءات على قدرة الأستاذ على دفع المتعلمين إلى البحث وبناء التعلمات بالملاحظة والتحليل والربط ودافعية الإنجاز وهو ما يتطلب مهارة مهنية ورصيدا معرفيا وخبرة هائلة لدى المعلم ، إلا أن الواقع يصدمنا في الكثير من الأحيان بأساتذة محدودي التكوين والخبرة ، وتكون السلبية أكثر لدى المواد الفنية خاصة التشكيلية لان استيعاب مادة فنية والتمكن فيها نراه أصعب بكثير منه في المواد الأخرى لان المادة الفنية تشمل معارف عقلية ومهارة عند الممارسة وذوق وإحساس وجداني ومن الصعب ان تتاح هذه الجوانب جميعا لدى شخص واحد هو أستاذ التربية الفنية التشكيلية .
- على القائمين على المناهج تحديد الغاية المستهدفة من تدريس المادة وتحديد مستوى المعارف الفنية التي يجب ان تتحقق لدى التلاميذ هل نحن بصدد تكوين فنانين ام ناقدين ام متذوقين للفن ، نظريا نجد التصور جميل و مقبول لكن الواقع تصدمنا بضعف التلاميذ في التعبير عن العمل الفني وضعف في المحاكاة والانجاز يقابله عجز في الإبداع والابتكار..
- حين نعرض على التلميذ تحفا فنية لرسامين عالميين ثم نطلب منه استخلاص القواعد الفنية والعلمية للفن التشكيلي ، فنحن هنا أمام مغالطة كبيرة لان التلميذ عندما نقدم له ذلك العمل الفني –التحفة- فإننا نضعه أمام اكتشاف جديد بالنسبة له لم يصل بعد إلى درجة إدراك طبيعته ولا قيمته ، فليس من المعقول ان نطلب منه تحليله واستخلاص القواعد الفنية فيه ...

وارتأينا أن ندعم هذا الطرح الوصفي للواقع والنقدي في نفس الوقت برأي جد شجاع وصريح حول هذا الموضوع لشخصية تربوية وأدبية معروفة هو الأستاذ محمد الصغير داسة حيث يقول : " ولنا أن تتساءل،هل التعليم هو مجرد امتلاك مهارات وقدرات؟ أم هو فضاء اشمل؟ فالتعليم بأسلوب الكفاءات رغم محاسنه إلا أن له عيوبا كثيرة يمكن تفاديها إذا كان المعلم فطنا حذرا، وذا إمكانات ثقافية عالية وتجربة ناضجة،فهذا الأسلوب من عيوبه أنه يفصل المعرفة عن العمل، والتفكير عن التطبيق، هو تعليم مُفرّد،يختزل التعليم كله في المهارات، وهذا ما جعل أبناءنا يعانون من فقر في المعرفة، وهي مكدسة بين أيديهم{كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ*والماء فوق ظهرها محمول } هم غير قادرين على قراءة نصوص بسيطة، أو كتابة فقرة،هم عاجزون عن التجريد و البحث والاكتشاف، ليست لهم قدرة على المقارنة والاستدلال والاستنتاج، وعلى فهم الإشكاليات والنقد وبناء المواقف، والتحكم في آليات الحساب، أما القيّم فلا تسأل إنها نائمة في صحف الكتب،إن هذا الأسلوب وبالنظر إلى صعوبة التعامل معه، جعل أبناءنا مجرد أدوات تنفيذ، ولذلك نجد المدرسين متذمرين يتخبطون في مشاكل لا حصر لها، وهيأة الإشراف والتأطير مذبذبة متردّدة مكتفيّة بالتنظير غير واثقة من نفسها ومن قدراتها على الإقناع وعلى تطوير الأداء لدى المدرسين المحاصرين في جديد صار قديما ولم يتكيّفوا معه بعد، ونتائج التحصيل تعلن عن نفسها بأنها الأسوأ،فالتعليم بالكفاءات لا ينسجم مع الواقع الجزائري هذه حقيقة، ويتطلب إمكانات ضخمة وتكوينا جيّدا وإشرافا واعيّا حاضرا في الميدان مفعّلا للعمل باقتناع"[15] .

إن ما ذكره محمد الصغير داسة من وصف للواقع التربوي حقيقة نلمسها جميعا وتنطبق على جميع التخصصات ، إن الفقر اللغوي والعجز عن التعبير الفكري أصبح متفشيا بين عامة التلاميذ حتى المتفوقين منهم ولعل من أسبابه اعتماد الصورة كوسيلة تعليمية أساسية تغني المتعلمين عن القراءة واكتساب المعارف والمفردات اللغوية الضرورية للتعبير ، فهو يفهم الموضوع و يعتمد في الإجابة على الصور أو محاولة الممارسة دون تحصيل علمي ومعرفي كاف .

الخلاصة :

انطلاقا من هاته المعطيات التي يلمسها الجميع في الواقع التربوي فانه من المستعجل جدا البحث عن البدائل الكفيلة بالتوفيق بين مختلف الأساليب التعليمية ، والكف عن أسلوب التقويض الارتجالي ، نحن بحاجة إلى توفيقية تكاملية حكيمة تنتقي كل ما هو مجد ومفيد من أي منهج كان وكفانا رفض الكل ثم نستبدل مكانه بقبول الكل دون النظر في المساوئ ، لذا فنحن بحاجة إلى خطة تلائم مجتمعنا نضعها بأنفسنا ونسميها كما نريد .

نرى انه من الضروري وضع مكانيزمات دائمة للبحث والدراسة في مجال التعليم وليس هنالك باحث أكفا وأنجع من المعلم نفسه ، وجدنا ان كل معلم في اليابان مطالب في نهاية السنة الدراسية بتقديم بحث تربوي من إعداده يقدمه إلى الوصاية نهاية السنة الدراسية، وهذا ما ناماله في بلادنا، حيث من خلال تلك البحوث الميدانية نستطيع الوقوف عند أنفسنا ويصبح بإمكاننا اختيار الطريق المناسب الذي نسير فيه إلى ما هو أفضل لمستقبلنا .

التوصيات :

- يُطالب الأساتذة الميدانيون بانجاز بحوث تقدم نهاية الموسم الدراسي تحت إشراف المفتشين ،
- الإصلاحات المستحدثة يجب أن تؤسس وتبنى على نقائص وعيوب في المناهج السابقة أي أن تكون لها المبررات المقنعة ، لا يجب رفض السابق جملة وتفصيلا وقبول الجديد جملة وتفصيلا .
- البحث عن بدائل توفيقية شاملة بعيدا عن الأفكار الضيقة المحاصرة بالأيديولوجيات والنعرات والأغراض الضيقة .

قائمة المراجع

[1]- بيات موندريون احد اهم رواد الفن الحديث يعتبر مؤسسا للفن التجريدي الهندسي الذي استوحاه من فنون العمارة .

[2]- ارنست فيشر – ضرورة الفن – دار الكتب 1998- ص-13

[3]- وزارة التربية الوطنية – المناهج - 2005 ص07.

[4]- حرقاس وسيلة – رسالة دكتوراه –تقييم مدى تحقيق المقاربة بالكفاءات - جامعة منتوري قسنطينة 2010. ص152

[5]- جلالي بوبكر – مقال بعنوان المقاربة التربوية في الجزائر بين الأهداف والكفاءات – جامعة الشلف

[6]- حرقاس وسيلة –دراسة–تقييم مدى تحقيق المقاربة بالكفاءات - جامعة منتوري قسنطينة 2010- ص150

[7]- حرقاس وسيلة – تقييم مدى تحقيق المقاربة بالكفاءات - جامعة منتوري قسنطينة 2010 ص-380

[8]- العرابي محمد –دراسة كشفية لممارسة المعلمين للمقاربة بالكفاءات -- مذكرة ماجستير – جامعة وهران 2011- ص65

[9]- توفيق مفتاح (مفتش تربوي بأكاديمية الرباط)- مقال بعنوان تطور الدرس الفني بفرنسا (2008/1861)

[10]- علي محمد المليجي – الابتكار ودافعية التعبير عند الفنان التشكيلي - حولية كلية التربية – جامعة قطر -1988- ص216

[11]- علي محمد المليجي – الابتكار ودافعية التعبير عند الفنان التشكيلي - حولية كلية التربية – جامعة قطر - 1988- ص216

[12]- محمد حسين جودي – الفن والنقد التشكيلي والتربية الفنية– دار صفاء للنشر والتوزيع – 2005. –ص20

[13]- منهاج مادة التربية الفنية التشكيلية – ص(وزارة التربية الوطنية 2006

[14]- مناهج التربية الفنية التشكيلية – مرحلة التعليم المتوسط – ص5 – وزارة التربية الوطنية - 2016

[15]- محمد الصغير داسة – مقال بعنوان المقاربة بالكفاءات ..طريقة تربوية وأسلوب عمل – مجلة أصوات الشمال – 2012.